الغواصة النووية

محمود سالم

الغواصة النووية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الغواصة النووية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٦٣٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
اجتماع عند بداية النهار	١١
رسالة شفرية في أعماق المحيط	١٧
صاعقة ... فوق الجزيرة	٢٣
المواجهة في غرفة العمليات	٢٩
الشياطين في غرفة مثلجة	٣٥
الأعداء يتفاهمون بلغة الشياطين	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

اجتماع عند بداية النهار

هدأ كل شيء في المقر السري للشياطين، الذين ناموا مبكرًا الليلة، فقد كان الاجتماع الأخير صاخبًا بما يكفي، لقد دارت مناقشات طويلة بينهم وبين رقم «صفر»، استعرضوا خلاله أعمالهم التي تمَّت كلها بنجاح. غير أن نهاية الاجتماع كانت أكثر إثارة، وأكثر صخبًا. فقد قال رقم «صفر» في هدوء: قد تتحركون الليلة في مغامرة جديدة، ولم تكن هذه هي المفاجأة. كانت المفاجأة أن المغامرة قد تحتاج لعدة شهور من العمل الشاق، وأن كل المغامرات الناجحة السابقة سوف تبدو عادية وبسيطة أمام المغامرة الجديدة.

لقد كانت هذه الكلمات كافية لتجعل الشياطين يستغرقون في تفكير عميق. إلا أن «ريما» لم تصمت، فقد سألت رقم «صفر» عن طبيعة المغامرة ... فأجاب بأنه لا يستطيع أن يقول شيئًا الآن، فهو في انتظار معلومات مفصَّلة عنها.

وسأل «باسم»: هل هي مع «سادة العالم» أيضًا؟

فقال رقم «صفر»: نعم، غير أنهم هذه المرة يُعدُّون لضربتهم منذ شهور، بل إنهم أجرَوا دراسات طويلة حول عمليتهم المقبلة. إن عمليتهم الجديدة لو نجحت فإنها يمكن أن تُهدِّد العالم كله. ولم يُضِف رقم «صفر» كلمة أخرى، فقد غادر مكانه، وترك الشياطين يحاولون الوصول إلى شيء.

دقَّت الساعة الثانية صباحًا، وكان كل شيء لا يزال هادئًا ساكنًا ... واحد فقط كان لا يزال يقِظًا بينهم جميعًا، هو «أحمد». إن كلمات رقم «صفر» جعلته لا يعرف النوم. صحيح أنه حاول في البداية أن ينام، لكنه لم يستطع ... لقد كان نومه مضطربًا، ولم يجد في النهاية مفرًّا من أن يجذب كتابًا من المكتبة القريبة من سريره، واستغرق في القراءة. لكنه مع ذلك لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير فيما قاله رقم «صفر». إن هذه العملية الجديدة التي قد تستغرق شهورًا — والتي تهدد العالم كله — لا بد أنها مغامرة من نوع

جديد، وبرغم أنه احتار طويلًا، إلا أنه أيضًا كان سعيدًا حتى إنه ردَّد بينه وبين نفسه: إنني أعشق المغامرات الجديدة.

وضَع الكتاب الذي كان بيده، والذي يتحدَّث عن حروب المستقبل، ونظر لحظةً إلى جهاز الفيديو، ثم قال لنفسه: إن فيلمًا مسليًا الآن يمكن أن يدفعني إلى النوم. ضغط على زرٍّ بجوار السرير؛ فظهرت على شاشة الجهاز الصورة. لقد كان الفيلم من أفلام «رعاة البقر». استغرق في المطاردة التي بدأ بها الفيلم. لكن فجأة، توقفت الصور، وظهرت كلمات على الشاشة، كانت الكلمات تقول: «لن تسهر طويلًا، إن المعلومات في الطريق.»

عرف «أحمد» أن هذه الرسالة من رقم «صفر»، فابتسم. اختفت الكلمات، وبدأ عرض الفيلم من جديد. كان الفيلم مسليًا فعلًا، حتى إنه استغرق فيه. مضت نصف ساعة، ومرة أخرى توقَّفت الصور، ثم ظهرت كلمات على الشاشة، قرأها ثم نظر بجواره. كان هناك دوسيه مُتخَم بالأوراق، عرَف أنه جاء من رقم «صفر» عن طريق الممر السحري الذي تصل به الرسائل المطلوبة.

رفع الدوسيه بين يديه ثم فتحه، كانت أول ورقة فيه مكتوبًا عليها: «الوقود النووي». استغرق في قراءة المعلومات التي يضمها الدوسيه. كانت تتحدث عن المحطات الكهربائية النووية، وعن العلاج بالذرة، وعن الوقود النووي للغواصات، وعن مواصلات المستقبل، التي سوف تعتمد على الذرة في كل شيء.

كانت أشعة الصباح قد بدأت تتسلل عبْر الشرفات الزجاجية في المقر السري. وقبل أن يظهر أول شعاع للشمس، كان «أحمد» قد انتهى من قراءة الدوسيه، استغرق في التفكير، فماذا يعني رقم «صفر» بهذه المعلومات؟ وهل المغامرة الجديدة لها عَلاقة مثلًا بمفاعل نووي، أو محطة نووية؟ تردَّدت أسئلة كثيرة في ذهنه.

فجأة، قطعت حيرتَه صَفَّارة رقيقة متقطعة، فعرَف أن شيئًا هامًّا قد حدث؛ قفز من سريره. وعندما خرج من الحجرة، كان الشياطين جميعًا يخرجون من حُجراتهم، وكانت الحَيرة تبدو على وجوههم، فهذه أول مرة يستدعيهم فيها رقم «صفر» في هذا الوقت المبكر. كانت الصَّفَّارة المتقطعة تعني أن هناك ربع ساعة قبل بداية الاجتماع؛ ولذلك فقد تجمَّعوا معًا، قبل أن يأخذوا طريقهم إلى قاعة الاجتماعات. وعندما تردَّدت الصَّفَّارة الثانية، أخذوا طريقهم إلى القاعة.

لم يكن هناك شيء غير عادي، القاعة بإضاءتها الهادئة، الخريطة الإلكترونية مُضاءة. الذي لفتَ نظرَهم هو ذلك اللون الأزرق الذي يُغطِّي الخريطة. لم يكن لونًا واحدًا. كانت

تدرُّجات اللون الأزرق؛ بدءًا من الأزرق الفاتح جدًّا، حتى الأزرق العميق جدًّا، وربما تكون هذه الدرجات من اللون هي التي أعطت لهم إيحاء بمكان مغامرتهم الجديدة.

ظهرت خطوط الطول والعرض على الخريطة، وتحدَّدت نقطة توقَّف عندها الشياطين. لقد كانت النقطة هي بلدة «لورين» على الساحل الشمالي الغربي لفرنسا، ثم ظهر رقم ٤٠٠٠ فوق المساحة الزرقاء العميقة، وعرَف الشياطين أن هذه هي أعمق نقطة في المحيط الأطلنطي.

كانت هذه التفاصيل القليلة تشير إلى أن المغامرة سوف تدور عند الساحل الشمالي الفَرنسي، ثم أُضيف إلى التفاصيل اسم خليج «بسكي» الفَرنسي.

غير أن الشياطين كانوا يُفكِّرون في سؤال واحد هو: ما هي المغامرة؟ إنهم يَذكرون الحديث الغامض الذي تَحدَّثه رقم «صفر» في نهاية اجتماع الأمس حينما قال إن «سادة العالم» سوف يقومون بعملية جديدة، قد تُهدِّد العالم كلَّه. الوحيد الذي كان قد بدأ يضع يده على المغامرة هو «أحمد». لقد ربط بين ما قرأه في الدوسيه عن «الوقود النووي». وبين خليج «بسكي»، والمحيط الأطلنطي.

غير أن صوت رقم «صفر» لم يترك له فرصة الاستمرار في الاستنتاج.

توقَّفت أقدام رقم «صفر» وألقى عليهم تحية الصباح، ثم قال إن المغامرة الجديدة سوف تكون أكثر المغامرات التي قمتم بها إثارةً، وأنتم بالتأكيد تذكرون حديثي بالأمس في اجتماعنا الأخير، فقد قلت لكم إن «سادة العالم» سوف يقومون بعملية غريبة. وتوقَّف رقم «صفر» عن الكلام، فقد ترك الوقت لكلماته حتى تعطيَ تأثيرها المطلوب على الشياطين، وإن كانوا الآن يتعجَّلون معرفة أبعاد المغامرة.

بعد دقيقة أضاف: في العام قبل الماضي، تخلَّصت البحرية الأمريكية من إحدى غواصاتها النووية، والتي كانت مدة خدمتها قد انتهت. لقد قطعت الغواصة الأمريكية النووية ٢٠٠ ألف كيلومتر دون أن تتزوَّد بالوقود؛ لأنها تعمل بالوقود النووي. وكانت المشكلة عند التخلص من الغواصة هي كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ وفي نفس الوقت لا تترك أثرًا ضارًّا على الكائنات الحية، بما فيها الإنسان والحيوان والنبات. هل تقوم بإغراقها في قاع المحيط على بُعدٍ سحيق فيه؟ أو تقوم بدفنها في باطن الأرض؟

إن المعروف أن المواد النووية لها إشعاعات ضارة. وأظنكم تذكرون قنبلة «هيروشيما» الذرية التي ألقتها أمريكا على اليابان، في نهاية الحرب العالمية الثانية، والتي أنهت الحرب. لقد ظلت إشعاعات القنبلة مستمرة لعدة سنوات، تؤثر في الإنسان والحيوان والنبات. وكان عدد ضحاياها رهيبًا، بجوار تأثيرها على الأرض الزراعية التي جعلتها بلا فائدة.

مثل هذه الإشعاعات تُمثِّل المشكلة في التخلُّص من الغواصة النووية؛ حيث يكون لها إشعاعات ضارة، لطول تعاملها مع المواد النووية. والذي فعلَته البحرية الأمريكية أنها عالجت المعدات النووية بطريقة خاصة، حتى تتخلص من تأثيرها. ثم قامت بوضع جسم الغواصة في متحف. ورغم أن هذه الطريقة هي الأكثر أمنًا، إلا أنها في نفس الوقت تتكلف كثيرًا، فقد كانت التكاليف ستة ملايين دولار، ولو أنها أغرقتها في عمق المحيط، ما كانت تتكلف هذه التكاليف، وهذا يعني أن إغراق الغواصة في المحيط هو السبيل الذي يقف في مُقدمة السبل الأخرى، وصمَت رقم «صفر».

وظلت أعين الشياطين مُعلَّقة بمصدر الصوت، فهم حتى الآن لا يعرفون بالتحديد طبيعة مغامرتهم الجديدة، وإن كان «أحمد» قد فهِم تقريبًا نوعية المغامرة.

أضاف رقم «صفر» بعد قليل: حتى الآن، أنتم لا تعرفون عَلاقة عصابة «سادة العالم» بمغامرتنا الجديدة. إن البحرية الفَرنسية سوف تُحيل الغواصة «السهم» إلى المعاش، وهي من غواصات الأسطول البحري الفَرنسي.

سكت لحظة، ثم قال: وقد أُجريَت دراسات على طبيعة التخلُّص منها، خوفًا من انتشار النشاط الإشعاعي للمواد النووية، ووصل القرار إلى إغراق «السهم» في عمق المحيط الأطلنطي الذي يصل إلى ٤٠٠٠ قدم تحت سطح البحر. وعند هذا العمق، لا يكون هناك ضرر يُذكر. فالأرض لها هي الأخرى إشعاعات نووية، نتيجة المواد التي تدخل في تكوينها. وهذه الإشعاعات ليست ضارة، لكن إذا زادت نسبتها، فإنها يمكن أن تُهلك كلَّ شيء.

توقَّف عن الكلام قليلًا، ثم أضاف: إن عصابة «سادة العالم» سوف تمتلك الغواصة «السهم»، التي ترقد الآن في خليج «بسكي».

كانت هذه الجملة كافية لكي يعرف الشياطين طبيعة مغامرتهم الجديدة، وكما فكَّر «أحمد» تمامًا، منذ أن تحدث رقم «صفر»، عن غواصة البحرية الأمريكية.

قال رقم «صفر»: إن خطة العصابة أن تستوليَ على الغواصة، إما بانتشالها من قاع المحيط، أو خطفها من خليج «بسكي»، برغم الحراسة الشديدة التي تضعها البحرية الفَرنسية. وطبعًا إن العصابة تستطيع تنفيذ ذلك.

تردَّد جرس متقطع جعل رقم «صفر» يقول: هناك رسالة في الطريق.

ثم أخذَت أقدامه تبتعد شيئًا فشيئًا حتى اختفت تمامًا. والتقت أعين الشياطين الذين كانوا يُفكِّرون في مغامرتهم. إنها فعلًا مغامرة مثيرة، لم يدخلوا مثلها قبل ذلك.

قالت «إلهام»: إننا ينبغي أن ننطلق الآن إلى «لورين» التي تقع على خليج «بسكي». فمن هناك ينبغي أن تبدأ المغامرة.

لم يردَّ أحد من الشياطين مباشرة. وإن كان «بو عمير» قد قال بعد قليل: إن الأمور لم تنكشف كلها بعد. فلا نزال في انتظار أوامر رقم «صفر».

قالت «إلهام»: إننا نستطيع أن نوقِفَ عملية خطف الغواصة قبل أن تتم.

لم يُعلِّق أحد على كلام «إلهام»، فقد بدأ صوت أقدام رقم «صفر» يقترب. ركَّزوا انتباههم في انتظار ما سوف يقول.

وعندما توقَّف تمامًا، قال: لقد اختفت الغواصة «السهم». ثم صمت، وترك الكلمات تؤدي دَورها مع الشياطين، الذين فوجئوا بالخبر.

لم تستطع «ريما» السكوت. فسألت: ومتى خُطفت؟

قال رقم «صفر»: منذ ست ساعاتٍ. وهذا يعني أنها خرجت من «خليج بسكي»، إلى عُرْض المحيط.

ثم قال بعد قليل: إن عملاءنا يحاولون الآن تتبُّع خط سيرها، لنعرف وِجْهتها، ونعرف مركز قيادتها على سطح الأرض. ثم سكت، وهو يُقلِّب بعض الأوراق التي كان صوتها يصل واضحًا إلى الشياطين.

بعدها قال: إن البحرية الفَرنسية لم تعلن الخبر. فهو خبر من الصعب إعلانه، ورغم أن جهودًا دولية قد بدأت للسيطرة على الموقف الذي يمكن أن يتضاعف، إلا أن دوركم قد بدأ الآن. إن عصابة «سادة العالم» سوف تُهدِّد الدول بهذه الغواصة، التي يمكن أن تُشيع الدمار في الأرض والبحر. إنني سوف أترككم تُجهِّزون أنفسكم حتى وصول معلومات أخرى.

أخذت أقدامه تبتعد شيئًا فشيئًا. في نفس الوقت الذي ظلَّ فيه الشياطين في أماكنهم لا يغادرونها. فهم حتى الآن لا يعرفون ماذا سوف يفعلون. فالأمور لم تتضح كلها بعد.

وقف «أحمد» فجأة، ثم قال: علينا أن ننتظر تعليمات رقم «صفر».

بدأ الشياطين يغادرون أماكنهم، ثم أخذ كلٌّ منهم طريقه إلى حجرته. وما كاد «أحمد» يفتح الباب، حتى كانت تعليمات رقم «صفر» قد ظهرت على شاشة «الفيديو». كانت التعليمات تُحدِّد مجموعة المغامرة وهم: «أحمد»، «بو عمير»، «فهد»، «رشيد»، «عثمان». قرأ أحمد الأسماء بسرعة ثم بدأ يُجهِّز حقيبته الصغيرة ...

وفجأة ظهرت معلومات جديدة. وكانت التعليمات: إن مركز القيادة الأرضي للغواصة يقع في جزيرة «سانت هيلانة».

لمَعَت عينا «أحمد»، فقد اتَّضحت خُطة العمل. وبسرعة أرسل رسالة إلى المجموعة، لتلتقي عند مكان السيارات، حيث يجب أن ينطلقوا في خلال ربع ساعة. وعندما التقوا،

وأخذ «رشيد» مكانه خلف عجلة القيادة، انطلقت السيارة في سرعة الصاروخ وهي تجتاز البوابة الصخرية للمقر السري، وعندما أصبحت في الخلاء، كانت البوابة قد أُغلقَت دون أن يُسمَع لها صوت. وبدأت المغامرة الجديدة للشياطين.

رسالة شفرية في أعماق المحيط

الطريق إلى «أنجولا»، سوف يكون طويلًا، هكذا فكَّر الشياطين. وحتى يصلوا إلى المدينة «لواندا» العاصمة؛ فإن ساعات طويلة من الطيران سوف تنقضي، إن اختيارهم لمدينة «لواندا» كان ضروريًّا، فهي تقع على شاطئ المحيط الأطلنطي من جهة ... وهي أيضًا تكاد تقع في مواجهة جزيرة «سانت هيلانة». إن الجزيرة تقع بين خطَّي طول ١٠.٥ درجة، وبين خطَّي عرض ١٠ و٢٠. وأقرب مدينة لها هي مدينة «لواندا».

لقد فكَّروا في البداية أن يذهبوا إلى «جوهانسبرج» في جنوب أفريقيا التي تقع على آخر نقطة في قارة أفريقيا مُطلة على المحيط الأطلنطي، لكن المسافة منها إلى «سانت هيلانة» سوف تكونُ طويلة جدًّا. وقد يُضطرون إلى الذَّهاب إلى «لواندا» أيضًا؛ لذلك اختاروا المدينة «الأنجولية» كأقرب نقطة.

إن خُطة الشياطين — كما اتفقوا عليها — هي الإبحار من «لواندا» إلى «سانت هيلانة»، التي يقع فيها مركز التوجيه الأرضي للغواصة، وهم إذا استطاعوا أن يدخلوا المركز ويصلوا إلى المعلومات التي يريدونها فإنهم في النهاية سوف يتمكَّنون من السيطرة على الغواصة «السهم» والإيقاع بالعصابة. إن ما يعرفونه جيدًا أن العصابةَ سوف تضَعُ حراسة شديدة على الجزيرة، أو على مركز التوجيه. وهذه الحراسة سوف تكون هي بداية الصراع معها. غير أن ذلك لم يجعلهم يتردَّدون؛ لأن الصدام مع العصابة هو الحل الأحسن في كل الظروف.

ولذلك، ما إنْ هبطَت الطائرة في مطار «لواندا» حتى أسرعوا يغادرون المطار؛ ليُلقوا بأنفسهم في المدينة الساحلية الأفريقية. غير أنهم لم يكادوا يتجاوزون باب الخروج، حتى

توقَّفت أمامهم سيارة، نزل سائقها بسرعة. ثم اقترب منهم مبتسمًا، وقال: إن الفندق في انتظاركم.

عرف الشياطين أن تعليمات رقم «صفر» قد وصلَت إلى عميله في «لواندا»، وأن كل شيء جاهز. قفزوا بسرعة في السيارة التي انطلقت إلى الفندق «القمر» الذي يُطل على المحيط، ملأت صدورهم رياح مُنعشة، عندما ظهر المحيط الأزرق العميق أمامهم. وفي لحظات قليلة، كانت السيارة تقف أمام الفندق، الذي لم يكن مرتفعًا. لقد كان يبدو وكأنه قصْرٌ لأحد الأثرياء.

نزلوا بسرعة حيث اجتاز السائق الباب أمامهم، وأحضر المفاتيح من موظف الاستعلامات، وقدَّمها إليهم، ثم انصرف بسرعة.

كان فندق «القمر» يبدو هادئًا تمامًا في هذه الساعة التي تقترب من الغروب. ولم يكن النزلاء فيه كثيرين. أخذوا طريقهم إلى حُجراتهم في الطابق الثاني، وبعد دقائق كانوا يجتمعون في حجرة «أحمد». كانت الحجرة ذات شرفة واسعة مطلة على المحيط. وعندما وقفوا فيها يرقبون المياه الممتدة حتى الأفق. قال: «فهد»: منظر رائع.

ابتسم «عثمان» وهو يقول: إن الأكثر روعة هو أعماق المحيط، حيث توجد الغواصة «السهم» الآن.

فجأة دقَّ جرس التليفون. أسرع «رشيد» إليه، وبدأ يتلقَّى المكالمة. وعندما انتهت، عاد إلى الشياطين ونقلها إليهم. لقد كانت المكالمة من عميل رقم «صفر» الذي تمنَّى لهم حظًّا سعيدًا، وقال: إنني أعرف أنكم مُتعَبون من طول الرحلة. وأتمنى لكم نومًا هادئًا. وفي الصباح، سوف تكون كل الأشياء المطلوبة في انتظاركم.

لم يسهر الشياطين كثيرًا هذه الليلة. فما إن انتهوا من عشائهم، حتى عقدوا اجتماعًا سريعًا وقصيرًا، ثم اتَّجه كلٌّ منهم إلى سريره. ولم تمضِ دقائق حتى كانوا جميعًا يغطُّون في النوم. ففي الغد سوف يبدأ العمل.

كان «بو عمير» أوَّل من استيقظ، وأسرع يوقظ الجميع، وهو يقول: يجب أن نبدأ قبل أن ترتفع درجة الحرارة.

ولم تمضِ نصف ساعة حتى كانوا يغادرون الفندق من بابه المواجه للمحيط، حيث كان بعض النزلاء يقفون ...

كان هناك لنش متوسط الحجم يقف عند ميناء صغير خاص بالفندق. اتجه الشياطين إليه، ثم قفزوا فيه بسرعة. أجرى «أحمد» تفتيشًا دقيقًا على تجهيزاته؛ فوجد كل شيء مُعَدًّا.

أشار إلى «عثمان» الذي جلس إلى عجلة القيادة، فبدأ صوت الموتور يرتفع، ثم انطلق يشقُّ سطح المحيط إلى داخله. كانت خطة الشياطين أن يقطعوا المسافة الأولى بطريقة عادية، حتى لا يلفتوا النظر. بعدها، يتحول اللنش إلى غواصة صغيرة تشقُّ عمق المحيط.

رفع «عثمان» سرعة اللنش إلى درجته القصوى، ووقف «فهد» يرقب الشاطئ الذي ظلَّ يختفي شيئًا فشيئًا حتى اختفى تمامًا. أخرج «رشيد» نظَّارة مُكبِّرة، ووضعها فوق عينَيه، وراقب الشاطئ، والفندق، الذي كان يبدو صغيرًا، وظلَّ يصغر أكثر فأكثر، حتى أصبح وكأنه نقطة. قال: ينبغي أن تنزل الآن، فلا أحد يدري ربما تكون هناك دوريات حراسة يقوم بها أفراد العصابة.

في دقائق، ارتفعت ألواح من الصُّلْب الرقيق على جوانب اللنش، فتحول إلى غواصة حقيقية، أخذت تهبط إلى عمق الماء، حتى أصبحت في منطقة متوسطة. فلا هي عند السطح ولا هي في الأعماق الأخيرة للمحيط.

في نفس الوقت أخرج «أحمد» خريطته المصغرة، ثم بسطها أمام الشياطين، وحدَّد الطريق، ثم قال: هل تتبع البوصلة في الجنوب الغربي؟

أجاب «عثمان»: نعم، إن اتجاهنا هكذا وبدون أي انحناء يصل بنا إلى الجزيرة ...

قال «أحمد»: إن الجزيرة تحوطها منطقة صخرية وعِرة، وهذه قد تُعطِّلنا عن الوصول باللنش. أعتقد أننا في النهاية سوف نستخدم ملابس الضفادع البشرية لدخول الجزيرة.

قال «رشيد»: هذه ضرورة، هناك أيضًا موعد الدخول. إننا لا نستطيع أن ندخل بالنهار، إلا إذا كانت آهلةً بالسكان بما يكفي لأن تكون حركتنا عادية ...

قال «فهد»: طبعًا، هذه مسألة ضرورية.

وفجأة، اهتزَّ اللنش بشدة، وقال «عثمان» بصوتٍ مرتفع: إننا سوف ندخل في معركة مع عدد من الحيتان التي تقوم بسباقنا.

نظر الشياطين بسرعة من النوافذ الزجاجية غير القابلة للكسر، كانت هناك مجموعة من الحيتان الصغيرة تدخل في سباق مع اللنش، حتى إنها كانت تُثير الدوامات المائية القوية التي تجعل اللنش يهتز بهذا العنف الذي اهتز به. كان منظر الحيتان ممتعًا، برغم خطورته.

قال «أحمد»: يجب أن نتعامل معها حتى نتخلص منها.

بسرعة ضغط «عثمان» على زرٍّ في تابلوه اللنش؛ فاندفعت صبغة حمراء لوَّنت المياه بلونها الأحمر القاني.

وعلَّق «فهد»: إن الدماء تثير الحيتان؛ ولذلك فهي سوف تدخل في صراع مع اللون.

ظلَّ الشياطين يرقبون الحيتان التي اندفعت فعلًا خلف الصبغة الحمراء، وكأنها تصارعها. في نفس الوقت الذي كان اللنش مندفعًا حتى اختفَت الحيتان تمامًا، لم يكن يظهر أمام الشياطين من خلال النوافذ الزجاجية المدرَّعة إلا مجموعات من الأسماك المتفاوتة الأحجام والألوان والتي كانت تسابق اللنش في مجموعات جميلة، ثم تتراجع في النهاية.

فجأة، التقت أعين الشياطين، فقد سمعوا صفيرًا حادًّا مستمرًّا، فقال «بو عمير» بسرعة: هناك رسالة شفرية بين مكانين.

أسرع إلى جهاز الاستقبال، وبدأ يسجل الدقات التي كانت تظهر على الشاشة، واجتمع الشياطين حول الجهاز في محاولة لحل الرموز التي لم تكن مفهومة.

قال «فهد»: هل يمكن أن نكون سعداء الحظ بهذه السرعة؟

كانت الرسالة الشفرية كالآتي: «– ٠٠٠–٠–٠٠٠٠٥ – ١٠ – ٠٠ — ١٠ – ٢٠ – ٠٠٠ — ٠–٠» انتهت الرسالة، فنظروا إليها في حَيرة.

قال «عثمان» الذي كان يسمع صوت «بو عمير» وهو يقرأ الرسالة: إن شرطة وشرطتين ونقطة ونقطتين وهكذا؛ تحتاج إلى بحث طويل، لا أظن أننا نملك الوقت لتحقيقه. إن الأفضل أن نرسل رسالة إلى المقر السري، حتى يقوم الخبراء بحل الشفرة، ثم إرسالها إلينا.

قال «أحمد»: هذا فعلًا ما سوف نفعله الآن.

ما كاد «أحمد» ينتهي من كلامه، حتى كان جهاز الاستقبال يستقبل رسالة، عرَف الشياطين أنها من عميل رقم «صفر». كانت الرسالة تقول: «رقم «صفر» يخبركم أن العصابة قد أرسلت تهديدًا لإحدى دول أفريقيا، بدفع مائة مليون دولار، وإلا حطَّمَتها بالصواريخ.»

نظر الشياطين إلى بعضهم وقال «فهد»: لقد بدأت العصابة عملها.

لم يُعلِّق أحد. فقد صمتوا جميعًا، واستغرقوا في التفكير.

بينما كان «أحمد» يفكر: إن متابعة موجة الإرسال التي أُرسلت عليها رسالة العصابة سوف تُحدِّد مكان مركز التوجيه على الجزيرة. وفي نفس الوقت مكان الغواصة النووية.

ثم نقل أفكاره إلى الشياطين، فعلَّق «بو عمير»: هذا صحيح. إن علينا الآن متابعة الرسالة.

نظر «أحمد» إلى جهاز الاستقبال، وبدأ يُحدِّد الموجة. فجأة تردَّد الصفير مرة أخرى، وبدأ الجهاز يُسجِّل رسالة شفرية جديدة.

قال «رشيد»: هذه فرصتنا، ولا يجب أن تفوت، إننا نستطيع أن نُحقِّق فكرة «أحمد».

أخذوا يتتبعون الرسالة، ويضبطون الجهاز على الموجة التي يستقبل بها. في نفس الوقت تحديد اتجاهها. كانت الرسالة: «– ·· — · – ··· –»، انتهت الرسالة.

فقال «رشيد»: المؤكد أنها رد على الرسالة السابقة.

استغرق «أحمد» في التفكير قليلًا، ثم قال: إن هناك استنتاجًا يمكن أن يؤديَ إلى تفسير الرسالة الأولى.

نظر الشياطين له، في انتظار أن يُكمل الكلام، إلا أن «بو عمير» سأل: هل هذا يعني ألا نرسل إلى رقم «صفر»؟

أجاب «أحمد»: سوف نرسل الرسالة، لكننا في نفس الوقت، نحاول تفسيرها بجهدنا الخاص.

بدأ «رشيد» يُرسل الرسالة الشفرية إلى رقم «صفر» في نفس الوقت الذي بدأ «أحمد» يُحدِّد على ورقة صغيرة ما يمكن أن يصل إليه استنتاجه.

صاعقة ... فوق الجزيرة

كتب على الورقة أرقام ٥–١٠ و١٠–٢٠. في نفس الوقت نظر إلى خريطة أمامه، وبدأ يُحدِّد خطوط الطول والعرض، حيث تقع البلد الأفريقية، وحيث توجد جزيرة «سانت هيلانة». كانت الجزيرة تقع بين خطَّي طول ٥ و١٠ وبين خطَّي عرض ١٠ و٢٥.

راقب الشياطين هذه الأرقام، ثم الأسهم التي رسمها «أحمد» بطريقة عكسية وهو يقول: إن تكرار رقم ١٠ في الرسالة يعني تأكيد الرقم. ويعني أنه مرة في خطوط الطول ومرة في خطوط العرض، وهذا واضح على الخريطة في موقع البلد الأفريقية مرة، والجزيرة مرة أخرى، ورقم ٢٠ مضافًا إليه رقم ٥ يساوي ٢٥. وهذا نفسه خط العرض الذي تقع عنده هذه الدولة الأفريقية. وهذا كله يعني في النهاية أن الرسالة خرجت من جزيرة «هيلانة» حيث يقع مركز التوجيه الأرضي، إلى الغواصة «السهم» في مكان ما من المحيط، وأن الأمر قد صدر إليها بالتوجُّه إلى الدولة الأفريقية. وهذا ما تؤكده رسالة رقم «صفر» الأخيرة، والتي يقول فيها إن العصابة وجَّهت تهديدًا إلى الدول الأفريقية بدفع مائة مليون دولار، ثم توقَّف عن الكلام.

في الوقت الذي استغرق فيه الشياطين، يفكرون فيما وصلوا إليه، كان «رشيد» قد أرسل الرسالة الشفرية إلى رقم «صفر»، وانضم إلى الشياطين.

مرَّت دقائق، قبل أن يقول «أحمد»: أعتقد أننا يجب أن نتوقف بعض الوقت في انتظار ترجمة الرسالة من رقم «صفر». وافق الشياطين على اقتراحه. فبدأ «عثمان» يهبط باللنش إلى عمق المحيط، حتى استوى على الأرض تمامًا. أوقف المحرك، ثم انضم إلى الشياطين. كان يستمع إلى حديث «أحمد» ...

ولذلك، فعندما انضم إليهم قال: إنني أُرجِّح ما قاله «أحمد». والمؤكد أن الرسالة لا تخرج عن هذا المعنى وأن الرسالة الشفرية الأخرى تُفيد أن الغواصة قد استقبلت الرسالة وأنها تقوم بتنفيذها.

لم يُعلِّق أحد من الشياطين. لكنهم جميعًا كانوا قد وافقوا «أحمد» على الاستنتاج الذي وصل إليه.

نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: الساعة الآن الثالثة، وهذا يعني أن أمامنا أربع ساعات حتى يبدأ الليل، إننا يجب أن نعرف المسافة بين موقعنا الآن وموقع الجزيرة.

تحرك «عثمان» بسرعة، ثم أدار المحرك، وضغط زرًّا، فانطلق شعاع يشق الماء في سرعة البرق، ثم قال: إن ارتداد الشعاع سوف يُعطينا المسافة بالضبط.

لم تمرَّ دقائق حتى قال «عثمان» مرة أخرى: بسرعتنا القصوى نحتاج إلى ثلاث ساعات فقط، ثم عاد إلى الشياطين، بعد أن أوقف المحرك. وما كاد ينضم إليهم حتى كان جهاز الاستقبال يستقبل رسالة من رقم «صفر». وعندما قرأ الشياطين الرسالة، ابتسموا جميعًا. لقد كانت ترجمة الرسالة الشفرية لا تخرج عن معنى الاستنتاج الذي توصل إليه «أحمد»؛ ولذلك فقد قال بسرعة: إن أمامنا موقفًا من اثنين؛ إمَّا أن نتبع الغواصة حتى ندخل معها في صراع لتحطيمها، وإمَّا أن نسيطر على مركز التوجيه في الجزيرة، فنستطيع أن نأتيَ بالغواصة في هدوء.

طرح «أحمد» الموقف للمناقشة. وانتهى الاجتماع بالموافقة على محاولة السيطرة على مركز التوجيه الأرضي.

انتقل الشياطين إلى مقدمة اللنش حيث جلس «عثمان» وبدأ التحرك. ظل اللنش مندفعًا بسرعة متوسطة عند عمق المحيط.

وقال «أحمد»: ينبغي أن نقسم أنفسنا للراحة هذه الساعات الثلاث، فسوف يكون عملنا طوال الليل.

انقسم الشياطين إلى مجموعتين: «أحمد» و«رشيد» و«بو عمير» الذين انصرفوا للراحة، وبقيَ «عثمان» و«فهد».

انقضت ساعة، ثم أرسل «عثمان» شعاعًا ضوئيًّا، ليعرف بقية المسافة. ثم قال لـ «فهد»: إننا نقترب بسرعة ربما قبل أن تغرب الشمس نكون عند شاطئ الجزيرة.

فقال «فهد»: إن المعلومات التي لدينا تُفيد أن سكان الجزيرة قليلون. وهذا يعني أن أيَّ دخيل سوف ينكشف بسرعة. وهذا يعني أيضًا أننا يجب أن نصل في الظلام، حتى تكون حركتنا أسهل، وحتى لا يكشفنا أحد.

أبطأ «عثمان» من سرعة اللنش. كان الانطلاق يتمُّ بلا أيِّ مشاكل؛ ولذلك، فقد ضغط «فهد» على زرٍّ صغير، فانسابت موسيقى هادئة. كان الوقت ممتعًا فعلًا. فحول اللنش كانت مجموعة الأسماك تبرق في ضوئه الذي ينفذ من خلال النوافذ الزجاجية المُدرَّعة. وكانت هذه تسلية طيبة، جعلت الوقت يمرُّ بسرعة.

فجأة قال «عثمان»: إننا أصبحنا تقريبًا عند بداية الجزيرة، ولقد هبط الليل. أعتقد أن الشياطين يجب أن يجتمعوا.

تحرك «فهد» إلى صالون اللنش، فوجد الشياطين يتسامرون ولم يكن أحد منهم قد نام. نقل إليهم الخبر، فانتقلوا إلى مُقدِّمة اللنش.

سأل «أحمد»: هل نستطيع أن نصعد الآن؟

أجاب «عثمان»: بل إننا يجب أن نفعل ذلك. سوف أصعد في منطقة بعيدة قليلًا، حتى نستطيع أن نتحرك دون خطر.

بدأ يصعد باللنش شيئًا فشيئًا. ثم توقَّف لحظة.

اقترب «أحمد» من منظار اللنش العلوي، ونظر فيه ثم قال: إن الجزيرة أمامنا تمامًا، هناك بعض الأضواء المتناثرة التي تلمع في الظلام. إن هذا وقت مناسب تمامًا.

أكمل «عثمان» الصعود، حتى طفا اللنش على سطح الماء، فجأة، لمع ضوء قوي يمسح المنطقة كلها. فهبط «عثمان» من جديد، ثم قال: إن الحراسة قوية بما يكفي، ويبدو أننا ظهرنا في مكان غير مناسب.

قال «أحمد»: لا بأس. نُغيِّر المكان. غير أن المهم أن مصدر الضوء القوي قد كشف الموقع.

دار «عثمان» باللنش نصف دورة في الاتجاه المضاد لمصدر الضوء، ثم بدأ يظهر من جديد. غير أنه لم يستمرَّ فقد اضطُرَّ مرة أخرى إلى الهبوط، بعد أن تكرَّر الضوء الدوَّار الذي يمسح المكان.

قال «رشيد»: إننا نحتاج للحظة سريعة. إن على «عثمان» أن يختار اللحظة التي يتجاوز فيها الضوء مكان اللنش ليرتفع، ثم نخرج بسرعة ليهبط اللنش إلى القاع.

بدأ «أحمد» يرقب دورة الضوء من خلال المنظار العلوي. وعندما تجاوز الضوء مكان اللنش، أشار إلى «عثمان» الذي صعد بسرعة. وفي لمح البصر، كان الشياطين يغادرون اللنش الذي ضغط «عثمان» فيه على جهاز خاص، فبدأ يغوص حتى اختفى. كان الظلام يُحيط الجزيرة. ولم تكن هناك سوى بعض الأضواء البعيدة، التي تبدو وكأنها جزء آخر من الجزيرة.

همس «أحمد»: يبدو أننا نزلنا أمام مركز التوجيه مباشرة.

تقدَّم الشياطين حتى بدأت أقدامهم ترتطم بالصخور، كانت صخورًا وعرة تمامًا، وبدا أن تقدُّمهم صعب، غير أنهم ظلوا في تقدُّمهم، ولكن فجأة، وكأن الجزيرة قد اختفت. أو أن أضواءها قد أُطفئت. فقد شمل المكانَ ظلامٌ غريب، إلا أن «أحمد» أدرك الحقيقة بسرعة. لقد بدأت حافة الجزيرة تظهر، وكان موقعهم منها تحت صخرة عالية، حجبت عنهم كلَّ شيء. كان صعود الصخرة صعبًا ... فقد كانت ملساءَ بما يكفي لأن ينزلق من يحاول الصعود عليها.

أخرج «أحمد» عددًا من الآلات الحادة الدقيقة من جيبٍ سحري في ملابسه، ثم دقَّ دقات فهِمها الشياطين. تحسَّس الصخور بيديه، حتى وجد شقًّا تحت يده، فدَسَّ فيه واحدة من الآلات الحادة، وتعلَّق بها. ثم جذب نفسه بقوة ساعدَيه حتى ارتفع قليلًا، وبدأ يبحث من جديد عن شقٍّ آخر، حتى وجده، فدسَّ فيه آلة أخرى، ورفَع نفسه حتى وضع قدمه على الآلة الأولى. وهكذا ظلَّ يرتفع خطوة خطوة، حتى لاحت أمامه بعض الأضواء، وبدأ سطح الجزيرة يظهر أمامه واضحًا.

في نفس الوقت كان بقية الشياطين يفعلون نفس الشيء، فيصعدون خلفه على نفس الآلات التي غرسها في الصخر. وعندما أصبحوا جميعًا فوق الجزيرة، بدءوا يزحفون في هدوء، دون أي صوت، لكن فجأة ظهر الضوء الدوَّار يزحف ناحيتهم؛ فانبطحوا على الأرض ملتصقين بها، حتى لا يكشفهم أحد. تجاوَزهم الضوء، فأسرعوا يزحفون حتى يخرجوا عن دائرته. قطعوا عدة أمتار فوق أرض صعبة وكأنها ملايين المسامير.

ولذلك، فقد كان تقدُّمهم بطيئًا. وعندما تجاوزوا هذه المنطقة الوعرة، بدأت تظهر مساحة سهلة من الأرض.

كانوا يزحفون في صفٍّ طويل، الواحد بعد الآخر، يتقدَّمُهم «أحمد»، ثم «فهد» ثم «عثمان» ثم «رشيد» وأخيرًا «بو عمير». ظهرت حُفرة على يمين «أحمد»، فتجاوزها، ودقَّ عدة دقات فهمها الشياطين، فابتعدوا عن الحفرة.

لكن فجأة، سمِع «أحمد» صوت شيء يرتطم بالأرض، وعندما التفت مُتحفِّزًا كان «بو عمير» و«رشيد» قد اشتبكا مع رجلين، فهِم «أحمد» بسرعة أن الحفرة لم تكن سوى نقطة مراقبة. قفز إلى الخلف ليلحق بـ «رشيد» و«بو عمير»، إلا أن «عثمان» و«فهد» كانا أقرب منه. قفز «عثمان» في الهواء، وأمسك بيدِ رجُلٍ كان يسحب مسدسه من حزامه، ثم جذبه في قوة، فاندفع الرجل، فتلقَّاه «فهد» وضرَبه لكمةً مستقيمة جعلَته يترنَّح.

في نفس الوقت الذي كان فيه «بو عمير» يدور في الهواء، وقد حمَل بين ذراعيه رجلًا آخَر، وظلَّ يدور به، ثم ألقَى به بعيدًا، فارتطم الرجل بالأرض، وأصدر صوتًا مكتومًا، كان «أحمد» يرقب المعركة السريعة التي لم يكن له دَور فيها. فقد قام الآخرون بدورهم. وفي خلال ربع ساعة كانت المعركة قد انتهت تمامًا.

زحَف «أحمد» بسرعة في اتجاه رجلَي العصابة. كانا مُمدَّدَين على الأرض بلا حَراك. همَس: يجب شدُّ وَثاقهما حتى نتخلص منهما.

وبسرعة كان «فهد» و«رشيد» يقومان بالمهمة. ثم سحباهما إلى نفس الحفرة، وألقياهما فيها. ومن جديد بدأ زحف الشياطين في اتجاه مركز التوجيه الذي كان يبدو كبناءٍ قديم وسط أضواءٍ شديدة الشحوب.

همَس «أحمد»: يجب مراقبة كل الحفر، فيبدو أنها مُجهَّزة حتى تكون نقطة حراسة.

كانت الأرض الباقية مُمهَّدة تمامًا، مما جعل الشياطين يتقدَّمون بسرعة. فجأة تردَّد صوتُ أقدام تقترب. ثم بدأت أصواتٌ تظهر. استطاع «أحمد» أن يُميِّز بين الكلمات: إن نقط المراقبة ٥ و٧ و٩ يجب تغيير حراستها، أمَّا نقط المراقبة ١ و٣ و٤ فقد تمَّ تغييرها.

كان صوت الأقدام يقترب أكثر، ولم يكن الشياطين يستطيعون رفْعَ رءوسهم عن الأرض، حتى لا يظهروا. زحف «أحمد» في اتجاهٍ جانبيٍّ لمصدر الأصوات، وزحف الشياطين خلفه. اقتربت الأصوات أكثر ورأى «أحمد» عن يمينه مجموعةً من الرجال يقتربون. فكَّر بسرعة: هل نشتبك معهم، أو نتركهم يمرون؟ إنْ مرُّوا فسوف يكتشفون الحفرة ومَن فيها، وبسرعة اتخذ قرارًا؛ يجب الاشتباك معهم. حاول أن يعرف عدد الرجال المتقدمين، لكنه لم يستطع تمامًا. وإن كانت أصواتهم قد كشفَت عددَهم بالتقريب.

كانوا حوالي سبعة. وكما فكَّر «أحمد» أنهم جنود حراسة مع قائدهم. عندئذ مدَّ يده ولمسَ يد أقرب الشياطين إليه، وأصدر إليه أمرًا. وكان الأقرب إليه «رشيد». مدَّ «رشيد» يده بالتالي ونقل الأمر إلى «عثمان» وبطريقة اللمس، انتقلت الخطة إلى الشياطين. لقد انتظروا، حتى تحين الفرصة. فلا يُفلت أحد. مرت دقائق، كانت تغطيها أصوات الأقدام التي تقترب.

وعندما ظهروا أمام الشياطين، أطلق «أحمد» صوتًا كأنه صوت طيور الليل. وفي لمح البصر، كان الشياطين يطيرون في الهواء وكأنهم صاعقة نزلَت على أفراد العصابة بلا مقدمات.

المواجهة في غرفة العمليات

كان أفراد العصابة يتقدَّمون في طابور؛ كل اثنين بجوار بعضهما، وبجوار أحد أفراد المقدمة، كان يسير قائدهم، ولذلك فقد كان ضربهم سهلًا. طار «أحمد» فضرب قائد الطابور بقدمه ضربة عنيفة، جعلته يصطدم بالاثنين الآخرين فوقع الثلاثة على الأرض، ليجدوا «عثمان» و«رشيد» في انتظارهم.

في نفس الوقت، ضرَب «بو عمير» و«فهد» نفس ضربة «أحمد»، فوقع بقية الرجال. كانت سيطرة الشياطين على الموقف سهلة تمامًا. فقبل أن يقف الرجال، ويُفيقوا من صدمتهم، كان «فهد» قد أخرج مسدسه، وطلب منهم أن يرفعوا أيديهم.

وقف الرجال، وعلى وجوههم علامات الدهشة، رفع بعضهم يديه، وتكاسل البعض الآخر. أخرج «رشيد» مسدسه الكاتم للصوت، ثم أطلق طلقة، بجوار قدم قائدهم جعلَته يقفز في الهواء في نفس الوقت الذي رفع فيه الآخرون أيديَهم. تقدَّم «بو عمير» من أفراد العصابة، ثم بدأ يسحب مسدس كل منهم، وعندما وصل إلى قائدهم، كان قد حمل ست مسدسات. وكان هذا كافيًا، ليجعل حركته أصعب؛ ولذلك فعندما مدَّ يده، ليسحب مسدس القائد، كان القائد أسرع منه. فقد ضرب «بو عمير» ضربة عنيفة جعلته ينحني بالرغم منه. كانت اللحظة كافيةً ليتصرَّف الباقون.

في نفس الوقت ضرب قائدهم «فهد» في وجهه ضربةً جعلت «فهد» يتخلَّى عن المسدسات التي تناثرت على الأرض بينما كانت معركة قد بدأت بين الجانبين. لكن ذلك لم يجعل «فهد» يتوقَّف، فقد اعتدل بسرعة، وتلقَّى ضربة أخرى من القائد، لكنها لم تكن من القوة بحيث تؤثر فيه. ثم عاجله بيمين مستقيمة، جعلت القائد يترنَّح، ثم أتبعها بشمال أخرى مستقيمة، كانت كافية لأن تُوقِع بالقائد على الأرض.

في نفس الوقت كان «أحمد» قد اشتبك مع الاثنين معًا. طار في الهواء، وضربهما ضربةً مزدوجة بقدمَيه، جعلتهما يصطدمان ببعضهما ويدوران. بينما كان «بو عمير» قد لحِق بأحد أفراد العصابة، وهو يكاد يمسك بمسدس من المسدسات التي كانت على الأرض، وداس على يده بقوة، فصرخ الرجل، ولم يستطع الوقوف. فضربه «بو عمير» ضربة قوية، جعلت الرجل ينطرح على الأرض وهو يتلوَّى من الألم.

في نفس الوقت كان «عثمان» قد سيطر على اثنين، وجعلهما يركعان على الأرض، تحت تهديد مسدسه.

ولكن «أحمد» نظر حوله، فلم يجد «رشيد». حاول أن يتحقق في الظلام، لكنه لم يره. كان أفراد العصابة قد استسلموا بعد معركة عنيفة بالأيدي، انتصر فيها الشياطين. أحصى «أحمد» عدد أفراد العصابة الموجودين فكانوا ستة فقط. وعرف أن «رشيد» يطارد أحدهم.

تحدَّث «أحمد» بلغة الشياطين الذين نفَّذوا ما قاله؛ فقد أخذوا يشدُّون وَثاقهم معًا، حتى لا يستطيعوا الحركة. وفي دقائق، كان كلُّ شيء قد انتهى.

قال «أحمد» بلغة الشياطين: ينبغي أن نُخفيَهم في مكان حتى لا يكونوا عقبةً بالنسبة لنا.

فجأة ظهر «رشيد» يسوق أمامه رجل العصابة.

وقال لـ «أحمد»: هناك منطقة جيدة يمكن أن نختفيَ فيها. ثم أشار في اتجاه مركز التوجيه.

ثم ساق الشياطين أفراد العصابة، إلى حيث أشار «رشيد». كانت هناك مغارة عميقة تكفي لأن يختفيَ فيها عشرة رجال.

فكَّر «أحمد»: هل يجردهم من ملابسهم، ويستخدمها في دخول المركز، أو يتقدم الشياطين كما هم؟ طرح الفكرة على الشياطين، فناقشوها بسرعة، واتفقوا على الاستفادة من ملابسهم فعلًا، يلبس ثلاثة من الشياطين ملابس أفراد العصابة؛ القائد واثنين منهم، فهذه ساعة تغيير الحراسة كما يبدو وهي فرصة طيبة …

وفي لمح البصر، كان «أحمد» قد جرَّد القائد من ملابسه، ثم لبسها بسرعة. كانت الملابس متفقة تمامًا مع قوام «أحمد» وهيئته. في نفس الوقت، لبس «رشيد» و«بو عمير» ملابس اثنين من رجال العصابة. وفي دقائق كان الرجال يقبعون في المغارة، في صمت، ودون أن يستطيع أحد منهم الحركة.

تقدَّم الشياطين وقال «أحمد»: سوف أتقدم أنا و«رشيد» و«بو عمير»، في نفس الوقت، يقوم «فهد» و«عثمان» بمراقبتنا، وسوف يكون الاتصال بيننا مستمرًّا.

وقف «رشيد» و«بو عمير» بجوار بعضهما، وتقدَّم «أحمد» في دور القائد، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة، عندما وقف «فهد» و«عثمان» بعيدًا يراقبان اقتراب طابور الشياطين من المركز. كان الشياطين يظهرون كأشباح تتحرك، وسط الإضاءة الشاحبة التي كانت تصدر من المركز. وكانت هناك بوابة من الأسلاك الشائكة، لا بد من المرور داخلها.

عندما اقتربوا من الباب، وقف حارسان يحييان، وقال في قوة، وهو يقول: إن السيد «روجز» في انتظارك أيها القائد «جريم».

رفع «أحمد» يده محييًا بسرعة، دون أن ينظر إلى الحارس، بينما كان معظم وجهه يختفي تحت الكاب العسكري. وعندما تجاوز البوابة قال «أحمد»: فلنستمر كما نحن. إن الباب الذي يظهر أمامنا الآن، يبدو أنه يؤدي إلى داخل المركز.

عندما اقتربوا من الباب، وقف حارسان يحييان، وقال أحدهما: السيد «روجز» غادر مكتبه إلى غرفة العمليات رقم ٢ وهو ينتظرك أيها القائد «جريم».

وقف الشياطين. ونظر «أحمد» إلى «بو عمير» و«رشيد»، ثم تحدَّث إليهما بلغة الشياطين همسًا. قال لهما: لا بد أن نتخلص منهما. ثم رفع صوته وقال كأنه يُصدِر أمرًا إليهما: اتبعاني، فإن خطأ الحراسة الليلة لا يجب أن يفوت بلا عقابٍ.

تقدَّم إلى الداخل، وخلفه «بو عمير» و«رشيد». تجاوز «أحمد» باب الدخول، في نفس اللحظة التي كان فيها «رشيد» و«بو عمير» وقد أصبحا بجوار الحارسين تمامًا. وفي حركة واحدة، كان كل منهما قد انقضَّ على الحارس القريب منه.

ودون صوت، كان «بو عمير» قد ضرب الحارس ضربة مفاجئة جعلته ينحني إلى الأمام، فنزل بقبضته عليه فوقع مصطدمًا بالأرض، وبلا حَراك. في نفس الوقت كان «رشيد» قد انتهى من حارسه. وفي هدوء، جرَّ كلٌّ منهما واحدًا، وأخفاه في مكان لا يظهر، ثم وقفا مكانهما.

كان «أحمد» قد شاهد هذه اللحظات السريعة. اقترب منهما، ثم قال: رسالة إلى بقية الشياطين للانضمام بملابس العصابة. ثم تركهما وتقدَّم إلى الداخل.

كان المركز هادئًا تمامًا، لا تبدو فيه حركة. توقَّف «أحمد» لحظة، حتى يعرف المكان جيدًا، وحتى يمكن أن يحدد غرفة العمليات رقم ٢. لكنه في النهاية لم يستطع. فجأة ظهر حارس يمشي في خطوات سريعة، نظر «أحمد» ناحيته، ثم قال بلكنة لا تظهر كثيرًا: أيها الحارس، أين السيد «روجز»؟

وقف الحارس محييًا، وأجاب: في الغرفة رقم ٨.

لم يعرف «أحمد» ماذا يمكن أن يفعل الآن. لقد قالوا إنه في الغرفة رقم ٢. والآن يقول هذا الحارس إنه في الغرفة رقم ٨، فكَّر بسرعة ثم قال: إنهم يقولون إنه في غرفة العمليات رقم ٢.

أجاب الحارس بسرعة: نعم يا سيدي.

قال «أحمد»: أنت تقول إنه في الغرفة ٨.

أجاب الحارس: نعم يا سيدي.

ردَّد «أحمد» وكأنه يشعر بالتعب: يبدو أن السَّيْر الطويل قد أجهدني الليلة. ثم قال للحارس: لا بأس سوف ألحق به.

انصرف الحارس مسرعًا، ووقف «أحمد» حائرًا. أين توجد الغرفة رقم ٨. وأين توجد غرفة العمليات. فكَّر لحظة ثم همس لنفسه: لا بد أنها غرفة واحدة، لكن أين هي؟ ألقى نظرة سريعة. كان الممر الذي يقف فيه طويلًا. وعلى جانبيه أبواب الغرف الكثيرة التي كانت مغلقة كلها. فكَّر: هل يبدأ الرقم من اليمين أو الشمال؟ ومن أي طرَف؟ مشى في خطوات بطيئة حتى يعطيَ لنفسه فرصة التفكير من جهة، وحتى يمكن أن يحدث شيء آخر كأن يظهر حارس جديد يمكن أن يعرف منه، لكن أحدًا لم يظهر.

توقَّف أمام أحد الأبواب، فانفتح تلقائيًّا. فجأة، رأى أجهزة كثيرة مُعقَّدة تملأ الغرفة، فدخل بسرعة. وعندما التفت ليغلق الباب، كان قد أُغلق من تلقاء نفسه. لم يكن أحد في الغرفة. وقف أمام الأجهزة، يحاول أن يفهم شيئًا. كانت هناك أزرار كثيرة؛ ثم ميكروفون، وشاشات متعددة. وظل يقرأ الأحرف التي كانت مكتوبة عند كل زرٍّ عرَف أن أحدها يعني «استقبال». ضغط الزر، فامتلأت الغرفة بأصوات كثيرة وسمع من يقول: أين القائد «جريم»؟ لقد طلبته فورًا. إن هناك بعض المشاكل أمام الغواصة.

فهم «أحمد» أن الذي يتحدث هو «روجز» نفسه. فكَّر بسرعة، ثم أرسل رسالة إلى الشياطين، يطلب منهم أن ينضم إليه «فهد» و«عثمان». جاءه الرد: «إنهما دخلا المركز فعلًا.» أغلق الجهاز، ثم اتجه خارجًا، عندما انفتح الباب أمامه، رأى شبحَين يختفيان، تراجع بسرعة، في نفس الوقت الذي ظلَّ يراقب تحرُّك الشبحَين. لحظة، ثم ظهر رأس «فهد». أرسل صفيرًا خافتًا؛ فظهر الاثنان بسرعة، كانا يلبسان ملابس رجال العصابة. انضما إليه، فعادوا جميعًا إلى الغرفة.

وقف الثلاثة أمام الأجهزة، ومن جديد، ضغط «أحمد» زرَّ الاستقبال، فتردَّدت الأصوات. كانت رسالة شفرية تتردد.

قال «أحمد»: إننا نحتاج إلى مفردات هذه الشفرة، حتى نستطيع أن نتصرف بسرعة.

في لحظة، كان «فهد» يرسل رسالة إلى رقم «صفر» يطلب مفردات الشفرة.

فجأة، فتح الباب وظهر بعض الرجال. وقفوا ينظرون إلى الشياطين في دهشة. قال واحد منهم متسائلًا: ماذا تفعلون هنا؟

رد «أحمد» بسرعة: إننا في انتظار السيد «روجز».

ابتسم الرجل وقال: لا بد أنك القائد «جريم».

رد «أحمد»: نعم يا سيدي.

قال الرجل: إنني «ماك» المسئول عن الاتصالات الخارجية. أعتقد أننا لم نلتقِ من قبل. فقد جئت منذ يومين فقط.

ابتسم «أحمد» قائلًا: إنني سيئ الحظ يا سيدي؛ لأنني لم ألتقِ بك، وأنا سعيد الآن أن أكون تحت أمرك.

قال «ماك»: زميلي السيد «شن لي»، مساعد العمليات. ثم ابتسم، وهو يشير إلى بقية الرجال: إنهم المساعدون أيضًا.

انحنى «شن لي» يُحيِّي «أحمد» الذي كان يقف وكأنه قائد حقيقي.

قال «شن لي»: إن الموقف ليس صعبًا، كما يرى السيد «روجز»؛ فهذه مشاكل تظهر دائمًا في هذا النوع من العمل. أقصد ما حدث في الغواصة.

ابتسم «أحمد» ابتسامة تمثيلية وقال: السيد «شن لي» يعرف بالتأكيد طبيعة العمل أكثر. إنني هنا، لتوفير الحراسة العامة يا سيدي.

كان «شن لي» قصير القامة، تظهر ملامحه الصينية بوضوح لا يخفى على أحد.

قال «ماك» بعد لحظة: إننا سوف نعقد اجتماعًا لبحث الأمر، إننا فقط في انتظار أن يعود السيد «روجز» من غرفة العمليات.

كانت هذه الجملة كافية ليفكر «أحمد» بسرعة. إن المؤكد أن السيد «روجز» يعرف القائد «جريم» جيدًا ومن هنا تبدأ المشكلة.

لم يكد «أحمد» يتقدَّم خطوة وهو يقول: إنني سوف ألحق به. وأعود معه حالًا، حتى فتح الباب، وقال «ماك» مبتسمًا: هذا هو السيد «روجز». لقد أتى بنفسه سريعًا.

وكانت مفاجأة لم يتوقَّعها الشياطين.

الشياطين في غرفة مثلجة

كان الغضب يغطي وجه «روجز». فيبدو وكأنه كلب حقيقي من نوع «البول دوج».

قال في نبرة حادة: أين القائد «جريم»؟ لقد أرسلت إليه أكثر من مرة.

نظر «ماك» إلى «أحمد» في تساؤل. واتسعت عينا «شين لي»، ووقف بقية الرجال لا يعرفون ماذا يقولون ... ولم تفُت هذه التعبيرات على «روجز»، فصرخ: ما لكم تقفون هكذا، وكأنكم مجموعة من البُلهاء؟

لكن أحدًا لم ينطق. لقد ترك «أحمد» الموقف يستمر حتى نهايته.

بينما كان يفكر: لو أن «ماك» أو «شن لي» لم يقل كلمة، فسوف يكون كل شيء على ما يرام، ولكن هذه اللحظة لم تستمرَّ طويلًا، فقد قال «ماك» مداعبًا: لا أظن أن القائد «جريم» يتمتع ببراعة مذهلة في عملية التنكُّر، حتى إنك لم تعرفه أيها السيد «روجز».

اتسعت عينا «روجز» من الدهشة ونظر حوله يستعرض الموجودين، ثم قال: أظن أنني أرى جيدًا. أين هو «جريم»؟

وقبل أن ينطق «ماك» بكلمة، كان «أحمد» قد جذَب مسدسه فتبعه «فهد» و«عثمان». وقال: إنني القائد «جريم». أيها الصديق «روجز»: ولا أدري كيف لا تعرفني، يبدو أن كثرة العمل قد أثَّرت عليك.

لم ينطق «روجز» بكلمة أخرى، فقال «ماك» مداعبًا: ليس إلى هذه الدرجة!

كان «روجز» قد ابتسم ابتسامة خبيثة، وقال: لا بأس أيها القائد الجديد. هل أنت من البحرية الفَرنسية؟

قال «أحمد» مبتسمًا: ما رأيك أنت، وهل يمكن أن تُرسل البحرية الفَرنسية قيادة جديدة إليك؟

تنفَّس «روجز» في عمق، ثم خطا عدة خطوات مغادرًا مكانه. لكن «أحمد» كان يقظًا بما فيه الكفاية. فقد تراجع خطوة للخلف، في اتجاه الباب.

قال «روجرز»: لا بأس، هل يمكن أن أتعرف عليك؟

ثم خطا خطوة أخرى في اتجاه الأجهزة التي كانت تحتلُّ جانبًا من الحجرة بطولها.

فقال «أحمد»: ينبغي ألا تتحرك كثيرًا؛ فإصبعي فوق زناد المسدس.

ابتسم «روجز» وهو يهزُّ رأسه. كان يبدو وكأنه يفكر في شيء ما، التفت فجأة إلى «أحمد» وهو يقول: ما الذي تريده بالضبط؟ ومع التفاتة كانت أرض الغرفة قد انفتحت في المكان الذي يقف فيه «أحمد». وقبل أن يحاول أيَّ محاولة، كان قد سقط في الفتحة، وفي دقائق كان يقف في غرفة مغلقة ليس لها منافذ أو أبواب. لم تكن هناك سوى عدة فتحات صغيرة للتهوية. أخذ يتلمَّس الجُدران، فلم يجد فيها شيئًا. كانت ملساءَ تمامًا. ظل يُحدِّق في السقف، لعله يجد شيئًا. لكن فجأة، أُضيئت مساحة بيضاء في الجدار المقابل له، فرأى «فهد» و«عثمان».

وصاح «فهد». لكن صوته تردَّد في فراغ الغرفة، دون أن يسمع أي إجابة، وبسرعة فكر. هل يرسل إليهما رسالة؟ لكنه لم يفعل ذلك. فقد خشيَ أن يكون مُراقَبًا وأن يَظهر جهاز الإرسال الذي يحمله. لكنه فكَّر بطريقة أخرى. فقد جلس على الأرض، وانحنى حتى أصبح كالكرة، ثم بدأ يُرسل الرسالة، دون أن يظهر الجهاز.

وبسرعة جاءه الرد: «نحن في غرفة مغلقة تمامًا، ينبغي أن يبدأ «رشيد» و«بو عمير» عملهما.»

كانت هذه فكرة جيدة: فقد أرسل رسالة إلى «رشيد» و«بو عمير» يشرح لهما الموقف كاملًا. ويرسم لهما خريطة التحرك. لكن صوت «روجز» تردَّد في الغرفة: هل يصلح هذا المكان للحراسة أيها القائد الجديد؟ ثم أعقب جملته بضحكة مدوية.

جلس «أحمد» على أرض الغرفة، فلم يكن هناك ما يفعله. كان يفكر: إن العصابة سوف تنفذ تهديدها الآن ثم تساءل: هل يمكن أن تنتهيَ المغامرة بالفشل؟ إن هذه أول مرة يتوقَّف فيها انتصار الشياطين.

ولكن فجأة أحسَّ بجو الغرفة يتغيَّر؛ فقد بدأت الحرارة تزداد، وأخذ العرق يُغطِّي وجهه. نظر في ساعة يده التي كانت تقوم بدور عمل الترمومتر أيضًا. كان الزئبق يرتفع في بطء، وكان هذا يعني أن درجة الحرارة مستمرة في الارتفاع. فكَّر: هل يمكن أن يكون ذلك شيئًا طبيعيًّا؟! أو أن هناك أجهزة تتحكم في رفع درجة الحرارة؟ بدأ العرق يغطي

جسمه، حتى إنه شعر أن ملابسه تبتل. حاول أن يقف، لكنه لم يستطع، كانت قواه قد بدأت تضعف.

تردَّد في الغرفة صوت روجز: ما رأيك الآن في هذا الحمام الساخن؟ أظن أنه يفيدك كثيرًا، بعد عمل الليل. ثم تردَّدت ضحكته العنيفة وأضاف: إن زميليك يرتجفان من البرد، فأنت أسعد حالًا منهما.

فجأة، بدأت درجة الحرارة تنخفض. وشعر «أحمد» بالبرد. ظلت درجة الحرارة في انخفاضها، حتى بدأ جسمه يرتجف. وجاءه صوت «روجز»: لقد أصبح الجو لطيفًا الآن، أليس كذلك؟ ومن جديد، ارتفعت ضحكة. لكنها لم تكتمل، فقد قطعتها صرخة ألم.

أنصت «أحمد» في اهتمام. لكنه لم يستطع تركيز جهده، لقد كانت برودة الغرفة شديدة. بدأ يشعر أنه يفقد قدرته على التفكير، أو حتى على الحركة. حاول أن يفهم معنى تلك الصرخة التي تردَّدت، لكنه لم يستطع، فقد بدأ يفقد وعيه تحت تأثير البرودة الشديدة، لكنه سمع في نفس الوقت صوت اصطدام أشياء بالأرض وما يشبه طلقات الرَّصاص.

فجأة، مرة أخرى، بدأت البرودة تتوقَّف، ثم أخذ المكان يعود إلى درجة حرارته الأولى شيئًا فشيئًا. في نفس الوقت أخذَ يستردُّ وعيه.

وعندما أفاق تمامًا، تردَّد في سمعه صوت «رشيد»، لقد سيطرنا على المكان! فجأة أيضًا، انفتحت طاقة في جدار الغرفة، ولمعَ ضوء قوي فيها، حتى إن «أحمد» لم يستطع أن يظلَّ مفتح العينين، فأغمضهما، واعتمد على سمعه في تعقُّب أي حركة.

سمع صوت «بو عمير» يناديه، كان الصوت يأتي من أعلى؛ فرفع وجهه وفتح عينيه في صعوبة. كان سقف الغرفة مفتوحًا، وكان وجه «رشيد» يُطلُّ منه. أنزل «رشيد» سُلَّمًا معدِنيًّا رفيعًا فتعلَّق به «أحمد» بسرعة، ثم بدأ يتسلَّق، حتى وصل إلى الغرفة نفسها.

لم يكن هناك سوى «رشيد» و«بو عمير». وما إن التقَوا حتى ظهر «فهد» و«عثمان» من فتحة أخرى في أرض الغرفة.

وبسرعة حكى «رشيد» ما حدث، منذ أن تلقَّيا الرسالة، وحتى السيطرة على المكان. لكنه قال في النهاية: إن هذه ليست الجولة الأخيرة، فمركز التوجيه الأرضي له حراسة مشددة تحوطه من كل مكان، ونحن سيطرنا على المركز فقط. لكننا لم ننتهِ من الحراسة كلها.

سأل «أحمد»: هل وصلت مفردات الشفرة من رقم «صفر»؟

أجاب «بو عمير»: نعم. لقد تلقيت الرسالة. ثم أخرج من جيبه مفكرة صغيرة وقدَّمها لـ «أحمد» الذي جرى بعينيه عليها، ثم قال: نستطيع أن نُنهيَ الموقف الآن، إذا تخلَّصنا من الحراسة، أو سيطرنا عليها. فقد تصل إليها أوامر بالهجوم على المركز.

تحرك الشياطين بسرعة في اتجاه باب الغرفة، فقال «عثمان»: إن الغرفة التي نحن فيها هي أهم غُرَف المركز فهي التي تُرسل الرسائل، وتتلقاها. يجب أن نُؤمِّنها حتى لا يسيطر عليها أحد.

قال «رشيد»: دعوني أتصرَّف.

خرج الشياطين من الغرفة؛ فوقف «رشيد» ثم أخرج مسدسه، وثبَّت فوق فُوَّهته جهازًا خاصًّا، ثم ضغط على الزناد، فانطلق شعاع من الضوء في اتجاه باب الغرفة لمدة دقيقة، ثم توقَّف.

ابتسم «أحمد» وقال: أنت تفكر جيدًا في الوقت المناسب.

حاول «بو عمير» أن يفتح الباب، لكنه لم يستطع.

ابتسم «رشيد» وقال: لا يمكن فتحه مرة أخرى إلا عن طريقي.

تحرك الشياطين في طرقة المركز الطويلة التي كانت تنتهي بشرفة زجاجية كبيرة. ومنها كانت أضواء النهار تتسلل إلى داخل الطرقة، فتجعلها واضحة تمامًا.

كان النهار قد بدأ، وكان ذلك يعني أن الشياطين قد استغرقوا الليل كلَّه في مغامرتهم دون نوم. لكن ذلك لم يكن يدفعهم إلى طلب الراحة. فالموقف لا يحتمل، واتجهوا إلى باب الخروج. لكن فجأة، دوَّت طلقات تردَّد صوتها في الطرقة الطويلة.

أسرع الشياطين إلى الاختفاء، وقال «أحمد»: يبدو أن هجومًا جديدًا قد بدأ.

ألقى نظرة سريعة في الاتجاه الذي جاء منه الطلقات، ثم قال: يجب أن تكون خارج المبنى الآن، حتى لا نقع مرة أخرى. فليست لدينا خريطة للمركز.

كانوا يقفون بجوار باب إحدى الحجرات المغلقة. عالج الباب بسرعة؛ فانفتح. كانت حجرة مكتب تُطل على حديقة صغيرة. أسرع إلى النافذة، فتحها؛ ثم كانت المفاجأة؛ أعداد ضخمة من الحراس أعضاء العصابة يقفون في حالة استعداد.

استدعى الشياطين بسرعة، فوقفوا ينظرون إلى هذه الأعداد الضخمة.

ابتسم «عثمان» وقال: هكذا يحلو العمل.

قال «أحمد»: سوف أعود ومعي «رشيد» إلى غرفة التوجيه. وأنتم عليكم مراقبة منافذ المركز. وهي كما نرى محدودة.

أسرع هو و«رشيد» إلى الغرفة المغلقة، لكن رصاصة دوَّت بجوار قدم «أحمد» جعلته يتراجع بسرعة. اختفى خلف جدار، ثم أخرج مسدسه، وثبَّت فيه إبرة مخدرة.

ثم أطلَّ برأسه، في نفس اللحظة التي أطلَّ فيها أحد أعضاء العصابة. أطلق «أحمد» إبرته المخدرة التي استقرت في وجه الرجل. هرش الرجل مكانها، ثم سقط على الأرض.

أطلَّ رأس آخر، لمحه «أحمد»، لكنه لم يفعل شيئًا، فقد أدهش الآخرين سقوطُ أحدهم، دون صوت؛ لذا ظهر بعض الرجال، وكانت فرصة طيبة لـ «أحمد» و«رشيد» استخدما فيها الإبر المخدرة بسرعة.

وفي دقائق، كان الرجال كلهم ممددين على الأرض بلا حَراك. وانتظر الاثنان لحظة، ثم أسرعا إلى الغرفة، وعندما وصلاها أسرع «رشيد» وثبَّت الجهاز الخاص على فُوَّهة المسدس، ثم أطلق شعاع الضوء، فانفتح الباب.

دخلا، وقال «أحمد»: راقِب الباب جيدًا، حتى أقوم بتنفيذ الخطة «م».

اتجه إلى الميكروفون، ثم فتحه، ووجَّه رسالة للحراس الذين يحيطون بالمركز.

قال من خلال الميكروفون — الذي تردد صوته حول المركز وسمعه الشياطين جميعًا: إن أي حركة منكم سوف تؤدي إلى نسف المركز.

ضغط زرًّا أمامه. فانفجرت في الخارج قنبلة صوتية هزَّت الفضاء ثم قال: يجب أن نعالج الموقف بحكمة حتى لا ينهار كل شيء.

كانت القنبلة الصوتية كافيةً لأن تجعل الهجوم المتوقع يتوقَّف. كان «أحمد» قد استطاع أن يفك رموز الحروف الموجودة على الأزرار أمامه. وتوصل في النهاية إلى طريقة تشغيلها جميعًا.

ضغط زرًّا أمامه، فلمعت شاشة تليفزيونية، نقلت له صور المكان المواجه لها. ضغط عدة أزرار؛ فرأى كل شيء خارج المركز، وظهر المحيط فوق إحدى شاشات التليفزيون.

بسرعة، بدأ يرسل رسالة شفرية إلى الغواصة، التي كانت تظهر حركتها على شاشة الرادار المثبتة أمامه. كانت الرسالة تقول: هل انتهت المشكلة التي واجهتكم؟

وجاءه الرد الشفري بسرعة: نعم كل شيء على ما يرام. إننا نتجه إلى الجنوب الغربي، حسب الأوامر السابقة.

بسرعة أرسل رسالة أخرى: «لقد تأجَّلَت الخُطَّة بعد أن استجابت الدولة الأفريقية لما طلبناه. عليكم بالتوجه إلى النقطة «هـ»، والاستقرار فيها حتى أوامر أخرى.»

جاءه الرد: «عُلِم.»

أرسل رسالة ثالثة: «سوف يكون وصولكم في الساعة ١٩.»

ولم يتلقَّ إجابة. فكَّر بسرعة ماذا حدث؟ إن الغواصة لا ترد.

كرَّر الرسالة مرة أخرى، وانتظر. بعد دقائق جاءه الرد: «هناك غواصة أمامنا، هل نتعامل معها؟»

فكَّر «أحمد»: هل تكون الجهود الدولية قد بدأت للسيطرة على الغواصة؟

أرسل بسرعة: «ما هي جنسية الغواصة؟»

جاءه الرد: «ليست معلومة لدينا.»

أرسل: «حاولوا ألا تتعاملوا معها، وخذوا طريقكم إلى النقطة «هـ» حسب الأوامر.»

جاءه الرد: «عُلِم.»

وسط استغراقه في مخاطبة الغواصة، لمح حركة جانبية من الحُرَّاس خارج المركز، فوجَّه نداء: إن أيَّ تحرك خارج المركز سوف يؤدى إلى كارثة ... إن هناك تحركات في القطاع الشمالي. إن قيادة القطاع الشمالي مسئولة عن تحركاتها.

وبسرعة توقَّفت التحركات.

فكَّر قليلًا، ثم بدأ يرسل رسالة إلى رقم «صفر»، شرح له فيها كلَّ التطورات، حتى توجُّه الغواصة إلى النقطة «هـ».

وفي دقائق جاءه الرد: «لقد تابعنا الرسائل إلى الغواصة والرد عليها. ونُتابع تحركات القوات خارج المركز. سوف يتم كلٌّ في موعده.»

فهِم «أحمد» ماذا يعني رقم «صفر» بجُملته الأخيرة. قال لنفسه: إذا تمَّ كلُّ شيء حسب تفكيرنا. فسوف تنتهي المغامرة بنجاح.

تحدَّث إلى «رشيد» الذي قال: إن كل شيء يسير في طريقه تمامًا، لكن ذلك لا ينفي أنه يمكن أن يحدث أي شيء. فالمفاجآت يمكن أن تقع في أي لحظة.

أرسل «أحمد» رسالة إلى الشياطين خارج المركز، يطلب منهم الانضمام إليهما. وفي لحظات سريعة، كان «فهد» و«عثمان» و«بو عمير» يدخلون الغرفة. وما إن خطَوا خطواتٍ داخلها، حتى تردَّد انفجار في الخارج، اهتزت له جُدران المركز. ورأى «أحمد» على شاشات التليفزيون، أعمدة بيضاء من الدخان، تنتشر بسرعة، حتى إنه لم يستطع أن يرى الحراس الذين كانوا يظهرون.

وقال «رشيد»: هذه هي المفاجأة التي لم نتوقعها.

الأعداء يتفاهمون بلغة الشياطين

انتظر الشياطين قليلًا. كان الدخان ينتشر بسرعة، نظر «أحمد» بسرعة إلى الأزرار التي أمامه، ثم ضغط اثنين منهما وقال: لقد أغلق المركز تمامًا. لقد كان الزراران خاصَّين ببوابتَي المركز.

قال «رشيد»: أقترح أن يحرس كلٌّ منا بوابة؛ فنحن لا نعرف ماذا يمكن أن يحدث.

تحرك «رشيد» و«بو عمير» بسرعة، واتجها إلى بوابتَي المركز؛ فوقف كلٌّ منهما خلف بوابة، وأخرج مسدسه في انتظار أي شيء. بدأت طلقات تتردد في الخارج وأخذت البوابتان تهتزان بشدة. فهِم الشياطين أن الهجوم قد بدأ، وأن الرصاص يُطلق على البوابتين لفتحهما.

حاول «أحمد» أن يرى من خلال شاشات التليفزيون شيئًا لكنه لم يستطع، لقد كان الدخان يغطي كل شيء. فجأة، ظهرت رسالة شفرية على شاشة الرادار.

ترجم «أحمد» الرسالة بسرعة. كانت تقول: «تعليمات القيادة العُليا: أُلغيت الأوامر الأخيرة. جارٍ تنفيذ الأوامر السابقة بالتوجيه إلى النقطة «ج» التي نصلها بعد ساعة.»

فكَّر: إن هذه الرسالة تعني أن الموقف يكاد أن ينكشف، وأن القيادة العليا لـ «سادة العالم» سوف تتدخل في الموقف.

نقل الرسالة إلى الشياطين، فقال «عثمان»: إن النقطة «ج» تعني أن الغواصة متجهة إلى الدولة الأفريقية. وإذا كانت سوف تصل بعد ساعة، فهذا يعني أن الفرصة أمامنا.

دوَّى انفجار قوي في الخارج، اهتزت له جُدران المركز. قال «فهد»: من الواضح أن المركز محصَّن تحصينًا جيدًا، ونحن لا نعرف بالضبط إذا كان يستخدم حراسة خاصة فوق سقفه. فلماذا لا نرى؟

قال «أحمد»: فكرة طيبة، يجب أن نسرع.

غادروا الغرفة إلى الطرقة الطويلة. كان «رشيد» و«بو عمير» يقف كلٌّ منهما عند بوابة.

في نفس الوقت، كان هناك سُلَّم صعِده «أحمد» وخلْفَه «فهد» و«عثمان»، بعد أن نقل لـ «رشيد» ما حدث. كان السُّلم مرتفعًا، ولم يكن هناك طابَقٌ ثانٍ للمركز، فالسُّلَّم يؤدي إلى السقف مباشرة. غير أنه كانت هناك بوابة حديدية مغلقة توقَّف الشياطين أمامها لحظة. إلا أن «فهد» تصَّرف بسرعة، فقد أخرج جهازًا خاصًّا كالذي يحمله «رشيد» ثم ثبَّته فوق فُوَّهة المسدس، وضغط الزناد. خرج شعاع الضوء، فانفتح الباب. وفي نفس اللحظة، دوَّت طلقات الرصاص كالمطر. ابتعد الشياطين بسرعة. أخرج «عثمان» قنبلة دخان، ثم ألقاها على السطح، وألقى «فهد» قنبلة دخانية أخرى.

وفي لمح البصر، تحول السطح إلى مساحة بيضاء بتأثير الدخان. كان يبدو أنه يُغطَّى بالقطن، لبس الشياطين نظارات خاصة تحمي عيونهم وتنفُّسهم من تأثير القنابل الدخانية، ثم أسرعوا بدخول السطح. كان الحراس مُلقَون على الأرض وهم يسعلون بشدة. تفقَّد الشياطين المكان، كانت هناك عدَّة فُوَّهات خارجة من الجدران في اتجاه الفضاء، توقف الشياطين أمامها.

انحنى «أحمد» وتشمَّم واحدة منها ثم قال: إنها فوهات مدفعية. يجب أن نؤمِّن سيطرتنا على المكان.

في لمح البصر، كان الشياطين يوثقون الحراس بالحبال، ثم يسحبونهم في أحد جوانب السطح. فجأة، ظهر صوت لفت سمع الشياطين. لقد كان صوت طائرات.

قال «أحمد»: لا بد أن القيادة العُليا قد تحرَّكت وأن الموقف قد وصل إليها.

أسرع الشياطين بالعودة، وأغلق «فهد» الباب بواسطة شعاع ضوء مرة أخرى. وفي لمح البصر، كان «أحمد» يجلس إلى التابلوه المثبَّت فيه الأزرار داخل غرفة العمليات، جرى بعينه بسرعة فوق الأزرار، حتى تعرَّف على الزر الخاص بالمدفعية. ضغط زرًّا آخَر، فبدأ الرادار الخاص بالسطح يعمل. ظهرت نقطة على شاشة الرادار، فعرف «أحمد» أنها طائرات «سادة العالم». فكَّر لحظة، ثم ضغط زر إطلاق المدفعية، فدوَّت في الفضاء الخارجي عدَّة طلقات متتالية. لم يكن «أحمد» يفكِّر في الصدام مع الطائرات. لقد كان فقط يريد أن يُعطيَ نفسَه فرصةً من الوقت حتى يسيطر على كل شيء. فليس المهم الآن هو الوصول إلى العصابة، إن المهم هو الإيقاع بالغواصة.

تراجع أزيز الطائرات، وبدأت تأخذ طريقها بعيدًا عن سماء المركز، ظل «أحمد» مُتيقِّظًا لأي حركة. كانت محاولات الحراسة الخارجية مستمرة لاقتحام المكان، خصوصًا وأن الدخان قد بدأ ينقشع، وبدأت تجمعات الحراس تظهر على الشاشة واضحة أمامه.

قال في نفسه: إن الغواصة الآن تحت سيطرة القيادة العُليا لـ «سادة العالم». وهذا يعني أن التعامل معها يجب أن يكون بحكمة.

أرسل رسالة شفرية إلى الغواصة يقول فيها: «لقد وصلتني تعليمات من القيادة العليا، وهي تؤكد اتجاهكم إلى النقطة «ج».»

جاءه الرد: «نعم، نحن في الطريق.»

فكَّر: هل هذه المعلومات صحيحة أو أنها مجرد خدعة لجأت إليها القيادة العليا، كنوع من التضليل؟

مرَّت دقائق، ثم لجأ إلى طريقة أخرى، فكَّر أن يسيطر على المجال الذي تتحرك فيه الغواصة، ويرسل ذبذبات تقطع أيَّ اتصال بين الغواصة والقيادة.

اقترب من الرادار، ثم بدأ يحدد مكان الغواصة، والمجال الذي تسبح فيه، والموجة التي تستقبل عليها الرسائل؛ ضغط زرًّا أمامه، فانسابت موجات ضوئية، ظهرت واضحةً على الرادار في طريقها إلى مكان الغواصة حتى دارت حولها.

فجأة، وصلت رسالة شفرية: إن الاتصال بالقيادة قد انقطع، لقد صدرت إلينا تعليمات سابقة بأن نتَّجه إلى مكان غير معلوم، تحدد على الخريطة بأرقام ٢٢ و١٢ طولًا وعرضًا.

ترجم مفردات الشفرة، وفهِمها، وانتظر قليلًا وهو يبتسم. قال في نفسه: الآن، أصبحت السيطرة على الغواصة كاملة، فكَّر قليلًا، وقال في نفسه: إن تغيير الشفرة يمكن أن يُعطيَ الغواصة أمانًا أكثر.

بسرعة أرسل إليها رسالة تقول: «سوف تتغير الشفرة. يبدو أن هناك محاولات لخلق مشاكل جديدة.»

جاءه الرد بعد دقيقة: «نحن في الانتظار. لقد انقطعت التعليمات ولا ندري ماذا نفعل. إن النقطة غير المعلومة قريبة من سواحل «مدغشقر»، وهذه أماكن وعرة، يمكن أن تخلق لنا متاعب ليست في الحِسبان.»

رد «أحمد»: «انتظر الشفرة الجديدة، وسوف تصلُك التعليمات.»

غادر الغرفة، وانضم إلى الشياطين الذين كانوا يحكمون الموقف داخل المركز. نقل إليهم تفاصيل ما حدث. فجأة، بدأ أزيز الطائرات يظهر.

عاد مسرعًا ومعه «عثمان»، فوجد رسالة من رقم «صفر» تقول: «تعامل مع السادة.»

ابتسم وانتظر. كانت الطائرات تظهر على شاشة الرادار وهي تقترب. أرسل إلى الغواصة شفرة الشياطين، وقال في نهاية الرسالة: انتظر التعليمات.

جاءه الرد: «عُلِم.»

اقتربت الطائرات أكثر، ثم بدأت تدور حول المركز. كان كل شيء يبدو هادئًا؛ فالحراسة خارج المركز قد توقَّفت عن محاولاتها، عندما رأت الطائرات، فهي تعرف أنها طائرات القيادة العليا لها. دارت الطائرات دورة، ثم أخرى، وأخيرًا بدأت تنزل فوق السطح. لقد كانت أربع طائرات هيلوكوبتر، كان كل شيء واضحًا على الشاشة أمام «أحمد» و«عثمان».

قال «أحمد»: يجب أن نتعامل معهم، حسب أوامر رقم «صفر».

أسرع «عثمان» ينضم إلى الشياطين، ونقل إليهم ما حدث. قال: إنهم الآن على السطح. لكنهم لم يستطيعوا النزول، فالبوابة الحديدية مغلقة، ولا يمكن فتحها إلا بواسطة الشعاع الضوئي.

ثم أرسل رسالة إلى «أحمد»، والذي رد: «انتظر قليلًا، نحتاج بعض الوقت.»

بدأت محاولة اقتحام البوابة الحديدية؛ فقد سمع دوي طلقات الرَّصاص، والقنابل اليدوية. لكن البوابة كانت مدرَّعة.

نظر «أحمد» في ساعته. كانت تقترب من السادسة مساء. فكَّر لحظة، ثم قال لنفسه: إن الغرب سوف يكون وقتًا مناسبًا للضربة النهائية.

أرسل رسالة سريعة إلى الشياطين: افتحوا البوابة، وتعاملوا معهم الآن.

تحرك الشياطين بسرعة وصعِدوا السُّلَّم حتى نهايته. وقف «فهد» بعيدًا ثم أخرج مسدسه وثبت عليها جهاز الأشعة الضوئية، وضغط الزناد، بدأت البوابة تنفتح في بطء. اختفى الشياطين خلف البوابة، وانتظروا اللحظة المناسبة. مرت دقائق دون أن يظهر أحد. وفهِم الشياطين أن الآخرين ينتظرون الفرصة هم أيضًا.

لم يتحرك أحد منهم.

فجأة، اهتزت البوابة في عنف؛ فعرَفوا أن أفراد العصابة يستخدمون أسلحة إشعاعية، فقد مرَّ شعاع صاعق من خلال البوابة المفتوحة. ولكن الشياطين يعرفون جيدًا أن هذه الأشعة لا تصيب إلا من يتعرَّض لها. ثم سمعوا صوت أقدام خفيفة فعرَفوا أنهم يلبسون أحذيةً مطاطية، فظلوا في مكانهم.

اقتربت الخطوات أكثر، وسمعوا صوتًا هامسًا يقول: لا أظن أن أحدًا يقف قريبًا من الباب، وإلا كان قد انتهى.

عندئذ ظهرت قدم أحدهم ثم نزل درجة، وتلاه الآخر. كتم الشياطين أنفاسهم حتى لا ينكشف أمرهم ... أخرج «بو عمير» مسدسه وثبَّت فيه إبرة مخدرة، ثم أطلقها على قدم الأول. توقفت القدم عن حركتها، وسمع صوت: ماذا حدث؟ ودون أن يرد، سقط على الدرجات، متدحرجًا إلى أسفل السُّلَّم.

قال صوت: يبدو أن الأشعة قد أثَّرت على السُّلَّم.

قال آخر: ماذا نفعل إذن؟

في نفس اللحظة، كان «بو عمير» قد أطلق الإبرة المخدرة الثانية التي استقرَّت في قدم الآخر. ولم تمضِ لحظة حتى سقط خلف زميله.

صاح الآخرون: ماذا يحدث؟ هل نحن نتعامل مع شياطين؟!

ابتسم الشياطين، ورد «عثمان» قائلًا: هذا صحيح. لكنه لم ينطق.

أخرج «فهد» منظارًا عاكسًا، ثم وجَّهه في اتجاه السطح. وقال: إنهم أربعة عشر فردًا. أعتقد أننا نستطيع أن نصطادهم الواحد بعد الآخر.

مرت دقائق، دون أن يظهر أحد. أغلق «بو عمير» البوابة في هدوء، فصاح أحد أفراد العصابة: هناك من يقف خلف البوابة.

وفي لمح البصر، قفز الشياطين وقطعوا السُّلَّم حتى نهايته واختفوا أسفله.

قال «فهد»: تعاملوا معهم، حتى أرى ماذا صنع «أحمد».

أسرع إلى غرفة العمليات، حيث كان «أحمد» مشغولًا في اصطياد الغواصة. قال بمجرد أن رأى «فهد» إنها الآن تدخل المصيدة.

ما إن انتهى من جملته حتى ارتفع أزيز طائرات في الطريق إلى المركز. فقال: إنها طائرات فَرنسية.

في نفس الوقت كانت الغواصة تطفو على سطح المحيط وسط الظلام الذي أخذ ينتشر. وعلى الرادار، ظهرت عِدَّةُ نقط تتجه لنفس المكان، حتى إن قائد الغواصة أرسل رسالة شفرية إلى الشياطين يقول فيها: «إن هناك من يقترب منا.»

فرد «أحمد» بسرعة: إن القيادة العُليا في الطريق إليك.

ارتفع صوت الطائرات القادمة، ثم بدأت تستقر فوق السطح. وسُمع دويُّ طلقات. مرت دقائق، ثم ظهر ضابط فَرنسي على باب غرفة العمليات يقف خلف الشياطين ثم حيَّا «أحمد» وشدَّ على يده وشكَره.

في نفس الوقت كانت رسالة قد تردَّدت أمام «أحمد» على الجهاز تقول: «لقد تمَّت السيطرة على الغواصة، أُهنِّئكم، وأتمنَّى لكم مغامرة جديدة مُوفَّقة. إلى اللقاء.»

لقد كانت الرسالة من رقم «صفر».

تنفَّس الشياطين في عُمق، وأخذوا طريقهم إلى الخارج. كانوا في حاجة إلى نوم عميق في فندق «القمر».

هنـــداوي